سلسلة تفريغات شبكة بينونة

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

كيف يكون المرء مفتاحًا للخير؟

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

كَيْفَ يَكُونُ المَرْءُ مفْتَاحًا لِلْخَيْرِ

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...

في هذا اليوم أيها الأخوة، واغتنامًا للوقت، وحسن الفائدة، أتناول وإياكم موضوعًا نحتاج إليه ولا غِنى لنا عنه، وذلك لما فيه من الخير العميم، ولما يترتب عليه من الآثار الحميدة، والفضائل الطيبة، والعوائد المباركة على الإنسان وعلى غيره؛ ألا وهو:

[كَيْفَ يَكُونُ الْـمَرْءُ مُفْتَاحًا لِلْخَيْرِ؟]

كيف يكون الإنسان سبيلًا إلى الدعوة إلى مرضاة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكيف تكون مفتاحًا للخير؟

ما هو المفتاح أيها الأخوة؟

المفتاح معروف هو ما يُفتَح به المغلق، فما يُفتَح به الشيء المغلق يُقال له: مفتاح.

وهذا المفتاح أيها الأخوة:

- قد يكون مفتاحًا حسيًّا.
- وقد يكون مفتاحًا معنويًّا.

المفتاح الحسي معروف.

والمفتاح المعنوي: هو الذي يكون في الأشياء المعنوية، وهذا المفتاح المعنوي:

- قد يكون في أبواب الخير.
- وقد يكون في أبواب الشر.
- فمفتاح الجنة: التوحيد.
- ومفتاح الصلاة: الطهور والوضوء.
- ومفتاح الشر: الخمر، كما قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْخَمْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**»[1].
- مفتاح العلم: السؤال، وحسن الإنصات، والجلوس إلى العلماء، والحرص على قراءة كتبهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٤ / ٤٦٣) برقم: (٣٣٧١)

- مفتاح الحرمان والخيبة وعدم القيام بالأعمال الطيبة: الكسل، وحب الراحة والخلود إليها.

فهذه كلها تُعدُّ مفاتيح.

هذا الموضوع إخواني حقيقةً من الموضوعات الهامّة جدًّا في حياة طالب العلم، ومع أهميته ففيه في الحقيقة جانب من اللطافة، وشيء من الرغبة في التحدُّث فيه، والنظر في مباحثه ومسائله؛ **كيف يكون المرء طريقًا للخير وسبيلًا إليه؟**

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- كلمة عظيمة تدلكم على المنزلة التي يكون عليها المرء إذا وُفِّق أن يكون من مفاتيح الخير، قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **"وهذا بابٌ عظيمٌ من أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفَّق لمعرفته ومراعاته إلا من عظُم حظه وتوفيقه"**.

إذن من وفِّق لمعرفة مفاتيح الخير ومعرفة مفاتيح الشر؛ فقد أوتي حظًّا عظيمًا ونصيبًا وافرًا من العلم، وكان هذا من دلائل توفيق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له وعنايته به، ولا شك أن من كان كذلك فهو على خيرٍ عظيم.

والحديث حقيقة في هذا الموضوع [مفاتيح الخير ومفاتيح الشر] يأتي انطلاقًا من قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ

نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مِفْتَاحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»[1].

إذن هذا الحديث يدلنا ويُنبّهنا على عناية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بهذه المفاتيح، وأن العناية بمفاتيح الخير ومعرفتها، والاهتمام بمفاتيح الشر وإدراكها و هو في الحقيقة عنايةٌ واهتمامٌ ببابٍ من أبواب العلم والدين والشريعة.

فَتْحُ الله أبواب الخير على يد المرء دليلٌ على حُب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- للعبد، وعلى أنّهُ راضٍ عنه، وموفِّقٌ له، والدليل على هذا قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» قيل: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُه لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[2]

تأملوا هذا الحديث: في بدايته قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» إذن رعاية المرء لمفاتيح الخير ودخولهِ فيها دليلٌ على إرادة الله -جَلَّ وَعَلَا- الخير بعبده.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (١ / ١٦٠) برقم: (٢٣٧)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٥٣) برقم: (٣٤١)

ثم تأمّلوا أيضًا قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُوَفِّقُه» إذن:

- هناك إرادة للخير من الله -عَزَّ وَجَلَّ- للعبد.
- وهناك توفيقٌ أيضًا من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- للعبد.

وتأمّلوا التوفيق لأي شيء؟ قال: «يُوَفِّقُه لِعَمَلٍ صَالِحٍ» ومعلومٌ ما هو العمل الصالح.

ثم تأمّلوا أيضًا أنّ هذا التوفيق يستمر للإنسان إلى آخر حياته: «يُوَفِّقُه لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ» ولا شك أن من كان كذلك؛ فقد نال حظًّا عظيمًا من الخير، وحصَّل جانبًا كبيرًا من توفيق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ويقول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ»[1]، إذن من كان مفتاحًا للخير فهو محبوبٌ عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

نستخلص مما تقدَّم من هذه النصوص: أنّ الدلالة على الخير، والإرشاد إليه، والحث عليه، والترغيب فيه، والإشارة بفعله، توفيقٌ من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولطفٌ بعبده، وإحسانٌ إليه، وهدايةٌ له.

هذا المقام العظيم، كيف يناله المرء؟

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٢ / ٤٥٣) برقم: (١٣٦٤٦)

وكيف يصل إليه؟

وكيف يكون من أهله؟

كيف يكون مفتاحًا للغير مغلاقًا للشر؟

أذكر أيها الأخوة على سبيل العُجالة بعض الأسباب التي بسلوكها والأخذ بها يصل المرء إلى هذه المنزلة الرفيعة عند الله -جَلَّ وَعَلَا-:

أولًا: صدق العزيمة، وقوة الرغبة في الخير، والصدق وقوة العزيمة، يقول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»[1] ، فالصدق ليس مقصورًا على جانب القول، أو محصورًا في الكلام فحسب لا، بل الصدق أعم من ذلك، فيشمل:

- الصدق في الأقوال.
- والصدق في الأفعال.
- والصدق في النوايا والمقاصد.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٥) برقم: (٦٠٩٤) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٨) برقم: (٢٦٠٦)

وهنا يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- كلمة عظيمة مبيِّنًا أثر الصدق في أن يكون المرء مفتاحًا للخير، قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **"فالصدق مفتاح كل خير"**، وصَدَقَ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-.

وتأمّلوا كيف أن الصدق مفتاح لكل خير، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ» ثم قال مبيِّنًا أثر الصدق: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» إذن كان الصدق هنا ماذا؟

مفتاحًا لكل خير وهو البر، والبر اسمٌ جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والقولية والعملية، هذا هو البر.

إذا كان الصدق يهدي ويقود صاحبه إلى هذا، هل بقي من أبواب الخير شيء؟ لا، بل وُفِّق لكل خير، ولهذا كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية "فالصدق مفتاح كل خير" مأخوذة من قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» هذا من جهة العمل.

ثم تأتي النتيجة: «وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» وهذه الغاية المطلوبة، والأمنية الغالية التي ينشدها كل امريءٍ صادقٍ في نجاة نفسه عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، «ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا» وهذه الثمرة أيضًا من ثمار الصدق.

يقول ابن رجب -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- مبيِّنًا أثر قوة العزيمة في تحقيق الخير والوصول إلى المطالب الطيبة، وأن يكون المرء مفتاحًا للخير، قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- كلمةً عظيمة قال: **"وعون الله للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها؛ فمن صمم على إرادة الخير أعانه وثبته"**، انظروا إلى ثمرة قوة العزيمة وصدق الإرادة: **"أعانه الله وثبَّته"** فبحسب التصميم في الخير وعلى الخير؛ تأتي إعانة الله، ويأتي تثبيت الله.

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في كتابه [الرياض الناضرة]

قال: **"فإن العزم الجامع المصمم الذي لا تردد فيه، خيرُ آلةٍ ووسيلةٍ لإدراك جميع المطالب العالية"**

المطالب العالية خيرُ وسيلةٍ لإدراكها والوصول إليها هو العزم الجامع المصمم الثابت القوي، ومن أين يأتي الخلل؟

قال الشيخ -رَحِمَهُ الله-: **"والخلل يأتي إمّا من عدم العزم، أو من ضعفه وتردده، أو من عدم ثبوته واستمراره"** وهذا واقع، كلام الشيخ السعدي كلام عالمٍ خبير، ومربٍ ناصح.

الخلل من عدم القيام بالأمور والاستمرار فيها أيًا كان ذلك الأمر يأتي:

- إما من عدم العزم على هذا الشيء.
- أو من ضعف العزم وتردده؛ يعني قد يكون العزم موجودًا لكن هناك تردد وضعف، ليس هناك جزم في العزيمة وهذا خلل.
- سبب ثالث بسببه يتخلَّف الوصول إلى المطالب العالية وإدراكها، قال الشيخ: **"أو من عدم ثبوته واستمراره"** قد يوجد العزم، وقد يكون العزم قويًّا، لكن يأتي الخلل في الناحية الثالثة، هذا العزم لا يستمر ولا يثبت، فإذا وُجِد عدم استمرار في العزم، وحصل الضعف في العزم، ولم يكن هناك استقرارٌ فيه؛ تخلَّف الأمر ولم يصل صاحبه إلى الأمر الذي يريده.

وهذا الكلام أيها الأخوة كلام عظيم، وهو يُعْتبر قاعدة في هذا الباب، فإنه يُبيِّن لنا أثر عدم العزم في عدم إدراك المطالب وتحقيق الغايات، والوصول إلى الأهداف.

الإصرار على الشيء عند حلول وقته؛ هو العزم الحقيقي، يعني كيف يكون المرء عازمًا عزمًا حقيقيًّا جازمًا ثابتًا؟ إذا وصل إلى مرحلة القيام

بالشيء وقام به، هنا يكون المرء فعلًا يُعدُّ عازمًا عزمًا قويًّا ثابتًا، لماذا أيها الأخوة؟

لأن المرء قد يعزِم على الشيء، فإذا جاء وقت تطبيقه ووصل إلى زمن القيام به، انحلّت العزيمة وضعُفت، وإذا انحلّت العزيمة، تخلَّف الأمر المطلوب، ولهذا كان من دعاء النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث شداد: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ» وهذا تنبيه في غاية الأهمية.

ثانيا: سبب ثانٍ به يكون المرء مفتاحًا للخير: النظر في أحاديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- والمشتملة على بيان الأجور وشرح الثواب لمن يسعى لنفع الناس وإفادتهم، وإيصال الخير إليهم، تأمّلوا قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[1]، عندنا كم طرف في الحديث؟ هذا الحديث فيه طرفان:

- الدال على الخير.
- وفاعل الخير.

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٤٠٣) برقم: (٢٦٧٠)

النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ» يعني كفاعل الخير، إذن هما مشتركان في ماذا؟ في الأجر مع تفاوت البدن؛

- الدال على الخير مجرد كلام ألقاه وكلمةٍ تفوَّه بها، وإشارةٍ أشار بها ونحو ذلك.
- والفاعل عمله أعظم أو أقل؟ أعظم والمشقة أكثر.

إذن «الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ» كُلْفته والمشقة عليه أقل من كُلْفة ومشقة فاعل الخير، لكن الاشتراك في الأجر واحد، وهذا يُبيِّن لنا عِظَم أثر الدلالة على الخير، وأن يكون الإنسان مفتاحًا للخير.

قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ، وَحَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»[1]

هذا الحديث ألا يدعو المرء إلى أن يكون مفتاحًا للخير؟ بلى، لا شك كما أن الحديث الأول أيضًا يحث المرء على أن يكون مفتاحًا للخير ولو بشيءٍ يسير وهو الدلالة على الخير.

وهذا الحديث حقيقة حديث عظيم: «إِنَّ الله» الله جَلَّ جلاله، سبحانه، تقدّست أسماءه، وتعالت صفاته، «وَمَلَائِكَتَهُ وَحَتَّى النَّمْلَةَ فِي

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٤١٦) برقم: (٢٦٨٥)

جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي البَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ» أي خير وأي فضل وأي ثواب وأي قدر، وأي منزلة ينالها معلم الناس الخير؟

يكفيه أن الله -جَلَّ وَعَلَا- يُصلِّي عليه، ويُثني عليه في الملأ الأعلى، فكيف وإن ضاف إلى ذلك الملائكة والنمل في جحوره، والحيتان في البحر؟ كم من خيرٍ سيناله هذا المعلِّم للناس الخير؟ خيرٌ لا يُحصيه إلا الله -جَلَّ وَعَلَا-.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1] هذا بابٌ من أبواب مفاتيح الخير، «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ» هذا على نفسه، لكن صاحب الهمة العالية والعزيمة القوية لا يقتصر على أن يكون الخير قاصرًا عليه، وإنما ينشَط إلى أن يوصل هذا الخير لغيره.

قال: «وَعَلَّمَهُ» أي: لغيره، فالمرء بهذا ينال ماذا؟ الخيرية، «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وهذا الشهادة بالخيرية ممن؟

من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، بمعنى أن هذه تزكيةٌ نبوية لمن كان هذا شأنه، والموفق من وفقه الله.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٩٢) برقم: (٥٠٢٧)

قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «السَّاعِي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ الله، أوْ: كَالقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ»[1] فقط سعيٌ على امرأةٍ أرملة أو امرءٍ مسكين، شخص مسكين، ما حالُ من يسعى عليهم؟ «كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ الله، كَالقَائِمِ اللَّيْلَ والصَّائِمِ النَّهارَ» أجر عظيم، وثواب كبير لا يُدركه المرء.

لكن إن وقر في قلبه أنه إن قام بهذا العمل صار بهذه المنزلة، نشطت نفسه في هذه الحالة، وكم يأخذ هذا السعي من الإنسان؟ لا شيء في الحقيقة، لكن بكونه يصير مفتاحًا للخير على هذا الصنف من الناس ينال هذا الأجر وذلكم الثواب.

ثالثًا: من الوسائل التي يكون بها المرء مفتاحًا للخير: التأمل في قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المتقدم معنا في حديث أنس: «فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الله مِفْتَاحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ» ما معنى «طُوبَى»؟

- احتمال أن تكون شجرة في الجنة.
- ويُحتمل أن تكون بمعنى الخير، بمعنى العيش الهنيء، بمعنى العاقبة الحسنة الطيبة الحميدة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٦٢) برقم: (٥٣٥٣)

هذا معنى «طُوبَى»، «فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مِفْتَاحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ» هذا دعاء، وهذا الدعاء صادر ممن ؟

من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، ودعاء الرسول مردودٌ أم مقبول؟ مقبولٌ ومجابٌ بلا شك.

إذن هذه النصوص والتأمل فيها تُحبِّب إلى المرء القيام بالأعمال الصالحة، وأن يكون المرء مفتاحًا للخير، وتدفعه إلى أن يكون منتجًا ونافعًا ومؤثّرًا في مجتمعه وفيمن حوله، لو لم يكن إلا دعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكفى المرء حرصًا على الخير، ونفعًا للآخرين.

رابعًا: من الوسائل التي يكون بها المرء مفتاحًا للخير: الشعور بالمسؤولية عن النفس وعن الآخرين، وأنّ المسلم له حق؛ لأن المؤمنين أخوة، وهذا الشعور يولِّد في النفس ويُحرِّكها إلى نفع الناس وبذل الخير لهم والإشارة به عليهم.

خامسًا: من الوسائل التي يكون بها المرء مفتاحًا للخير: العلم الشرعي الصحيح المنضبط المستمَد من الكتاب والسنَّة؛ لأن العلم هو الأساس وهو القاعدة، ومريد الخير إن لم يكن عنده علم قد يقع في الشر وهو لا يشعر، وقد يقع في الشر من حيث أراد الخير، فالعلم يضبط

للإنسان معرفة أبواب الخير ومفاتيحه؛ لأن العلم إذا تخلَّف قد يُفسد الإنسان، وفساده قد يكون كبير، وإفساده قد يكون عريض، فالجاهل قد يُفسد أكثر مما يُصلح، وقد لا يصل إلى الخير الذي ينشده، ولهذا قال ابن مسعودٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"وكم من مريدٍ للخير لم يبلغه"**؛ يعني لم يصل إليه، لماذا؟

لأنه أخطأ طريق الخير، وكيف يحمي الإنسان نفسه من الخطأ في الوصول إلى أبواب الخير؟

يحمي نفسه بالعلم الشرعي الصحيح.

سادسًا: من الوسائل التي بها يصل المرء إلى هذه المنزلة العالية:

الاقتداء بالنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والنظر في سيرته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وسيرة أصحابه، وحقيقةً من تأمل حاله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ووقف وتأمّل في مواقفه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- رأى عجبًا منه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الباب.

فهو -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قائد المفاتيح للخير، والدال عليها، والمرشد إليها، والواصف لها، والشارح لها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، بل إننا لم نعرف مفاتيح الخير، ولم نتمكن من إدراكها، ولم نتصور هذه

المفاتيح إلا من جهته -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فجميع مفاتيح الخير متوقفةٌ على بيان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لها، وهذا البيان:

- قد يكون بقوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-.
- وقد يكون بفعله وبسيرته.

وإذا كان الأمر كذلك، إذن لا بد أن نقف على سيرته، وأن نقتدي به -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-.

كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجود الناس، أجود الناس هذه كلمة ضع تحتها من أبواب الجود وفروعه وصنوفه ما لا يُحصى، أجود الناس -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- بكل ما تعنيه الكلمة؛ أجود الناس بالعلم، وبالمال، وبالكلمة الطيبة، وبالإحسان، وبالتعامل، وبالأخلاق، واذكر ما شئت من هذه الأبواب من أبواب الجود.

كان من جوده -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدلالة على الخير، وما نحن فيه من جوده -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- في دلالتنا على الخير؛ يقول أبو ذر -رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ-: "إن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا؟ يعني من أين لنا هذه

الصدقة التي نتصدق بها كل يوم، فليس كلنا يجد تلكم الصدقة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ؛ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللهفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا -يَعْنِي في مسجده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا، -يعني يقضيها وينهيها له- أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ»[2] هذه كلها أبواب للخير.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان قائمًا بهذا وأكثر، وهكذا أصحابه -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ وأرضاهم- وتأمّلوا في سيرهم وخصوصًا

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٢٢١) برقم: (٤٧٤)

(٢) أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٢ / ٤٥٣) برقم: (١٣٦٤٦)

الصديق -رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ-، ولهذا فإن أبا بكرٍ الصديق يدخل من جميع أبواب الجنة الثمانية، من جميعها؛ لأنه -رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ- استكمل ماذا؟ استكمل أبواب الخير ومفاتيح الخير، وهنا جاءت الكرامة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- والوعد الصادق من النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أن يدخل من جميع تلك الأبواب.

سابعًا: من الوسائل التي يكون بها المرء مفتاحًا للخير: التعاون على أن نكون مفاتيح للخير، وأن يُسنِد بعضنا بعضًا على ذلك، ترغيبًا، وتشجيعًا، ومساندةً، وحثًّا، ودلالةً، إلى آخره، لا بد من هذا التعاون، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢] والمرء ضعيفٌ بنفسه، قويٌّ بإخوانه، ومتى وجد المرء أخًا صادقًا صدوقًا في هذا الجانب، فقد وجد ووفِّق لخيرٍ عظيم فليعُضَّ عليه بالنواجذ.

الاستشارة كذلك أيضًا في الأعمال المراد القيام بها لا بد منها -أعني من الاستشارة- لما فيها من كثرة الفوائد والمنافع التي ينالها المستشير، ما هي الفوائد؟

أُحيلكم على عدة مصادر من كتب العلامة السعدي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- ذكر فيها فوائد الاستشارة:

- في كتابه [الرياض الناضرة] عقد فصلًا مستقلًا في هذا وهو الفصل الثاني عشر: (الحث على المشاورة في كل الأمور).
- في كتابه [الدرَّة المختصرة في محاسن الإسلام] رسالة صغيرة، ذكر فوائد الاستشارة عند المثال السادس عشر.
- في رسالته الصغيرة الجامعة النافعة المفيدة المؤصلة في باب الجهاد اسمها [الجهاد في سبيل الله] ذكر أيضًا منافع وفوائد الاستشارة.
- ذكر أيضًا منافع وفوائد الاستشارة في رسالته الأخرى: [فوائد مستنبطةٌ من سورة يوسِف]، ذكر أيضًا فوائد الاستشارة ومنافعها.

وإذا يسّر الله إن شاء الله لنا في هذا درسًا مستقلًا سيكون إن شاء الله في ضمن هذه السلسلة التي نسير عليها وهي طالب العلم والاستشارة؛ أعني عنوان الدرس هكذا: [طالب العلم والاستشارة] لأنه لا بد أيها الأخوة لطالب العلم أن يعرف لماذا يستشير؟ ومَن يستشير؟ وكيف يستشير؟ وفي أي شيءٍ يستشير؟ لا تكون استشارته هكذا من كل ما هبَّ

ودب، المستشار له صفات، لا بد أن يكون محلًّا للاستشارة، أما أن يستشير كل من هبَّ ودب فهذا حقيقة من عدم التوفيق.

الحاصل أيها الأخوة:

الأمر الأول: أن من أراد أن يكون مفتاحًا للخير ومباركًا أينما كان، فعليه بالإضافة إلى ما تقدم من الوسائل والأسباب السبعة المتقدمة، عليه بالتعرُّف على أبواب الخير والسؤال عنها، وهذا يدخل في العلم.

والأمر الثاني: عليه بالاستعانة بالله والتوكل عليه على القيام بكل الأمور التي يريدها وأن يصل من خلالها إلى هذا الوصف العظيم، وهو أن يكون مفتاحًا للخير.

وهذه الأسباب إخواني مترابطة، ولهذا قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنبيه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ هذا العزم ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ قبلها: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[آل عمران:١٥٩]؛ لأن المشاورة والعزم والتوكل كلها هذه أسباب مترابطة، من خلالها يصل المرء إلى هذا الوصف العظيم والمقام الكبير من مقامات الدين وهو أن يكون مفتاحًا للخير.

التوكل على الله، والاستعانة به، وبذل الأسباب أصلان عظيمان جمعهما النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في قوله: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» هذا بذل الأسباب والتعرف على أبواب الخير، «وَاسْتَعِنْ بِالله»[1] هذا هو التوكل على الله، بهما يصل المرء إلى أن يكون مفتاحًا للخير.

وبهذه المناسبة شيخنا الشيخ عبد الرزاق البدر -حفظه الله تعالى- قد تناول هذا الموضوع بتوسَّع في محاضرة قيمة ونافعة بعنوان: [كيف تكون مفتاحًا للخير؟] موجودة على موقعه -حفظه الله تعالى-، وأيضًا على الأقراص والأشرطة وتُباع وتتداول، محاضرة في غاية الروعة في هذا الجانب، والتنبيه عليه، وضرورة التحلِّي به؛ [كيف تكون مفتاحًا للخير؟].

أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يجعلني وإياكم من مفاتيح للخير، ودعاة الهدى إنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خير مسؤول، والحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خير.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٦) برقم: (٢٦٦٤)

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة